حوار ساخن



هادي المدرسي

مؤسسة الوفاء
بيروت



حوار ساخن

هادي المدرّسي



مؤسسة الوفاء
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٠٢هـ - ١٩٨٣م

مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤٥٧ - هاتف ٢٧٧٣٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ العَالَمِينَ

الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ

وَلَا الضَّالِّينَ

لماذا «حوار ساخن» ؟

OOOOOOOOOOOOOOOOOOOO

«الطرف الآخر . . » ويعني كل المتشككين في قدرة الأسلام على التغييرنحو الأفضل .

هذا «الطرف الآخر . . » لا يستطيع الا أن يحكم بالعموميات ، واطلاق الأحكام المطلقة ، والتمسك بالسلبيات .

ولذلك فأن الحوار معه ، هو حوار مع طرف ، لا يملك رصيداً من الحقيقة الا

بمقدار ما يتهم ، ويصدر الاحكام القاطعة .
ويتمسك بموقفه الخاطىء .

ولهذا يكون الحوار معه ـ دائماً ـ حواراً ساخنا ، لان ذلك هو لغته .

ونتحدث نحن معه بلغته التي يفهمها ، ونرجوا أن يغفر لنا القسوة في التمسك بالحق .

هادي المدرسي

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ ما ذنبنا اذا كان الأسلام ذاته لا يقبل التطبيق الخارجي في الوقت الحاضر ؟

○○○○○

غيّروا اسلامكم . شذّبوه . احذفوا منه نظرياته التعسفية . ادخلوا فيه المرونة . اقبلوا بعض الآراء الاخرى فيه ، فسرعان ما سنغير موقفنا منه !

○○○○○

ـ مشكلتنا معكم ، هي أنكم تطالبوننا بالعودة الى الوراء ناسين ان عقارب الساعة لا تسير الا في لحم المستقبل !

○○○○○

ـ انتم من جيل الأسلام . ونحن من جيل ما يسمى بالكفر .

OOOOO

بالله عليكم أحكموا : أينـا اسعد وأحسن حياة . . نحن أم انتم ؟

ـ كيف يمكن أن نتفق ؟

ونحن ندعو الى التطور ، وانتم الى الجمود !

ان كل ما في الحياة يسير على عجلة التطور . هذا «قانون الحياة» . ونحن لا يمكن أن نطالب بحذفه بمجرد انه لا يلائم جمودكم .

وهكذا فنحن محكومون بتغيير انفسنا

حسب تغيرات الظروف ، والا فقدنا حقنا في الحياة .

فكيف يمكننا ان نتفق ؟

○○○○○

ـ الف عام صلينا ، وصمنا ، وحججنا ، وادينا آخر فلس مما علينا من الزكاة ، فماذا كانت النتيجة ؟

لقد احتلت اسرائيل ـ التي لم تصل لحظة واحدة ـ اراضينا في ساعات ، ولم تدافع عنا صلواتنا وصياماتنا وزكواتنا قيد شعرة !

○○○○○

لا تكلفونا بالعبادات ، فانتم كنتم تجدون متسعاً كافياً من الوقت لآدائها . اما نحن فان متطلبات البحث ، والتنقيب ، والعلم ، والتكنولوجيا لم تترك لنا مجالا لممارسة ذلك !

ـ الأمريكان وصلوا الى القمر . الروس أرسلوا بريدهم الى المريخ . الفرنسيون صنعوا طائرة الكونكورد . الصينيون صنعوا قنابل هيدروجينية .

وكلهم من الشعوب الملحدة التي لا تصلي ولا تصوم ، ولا تؤمن بالجنة والنار ، ولا بالقبر والحساب .

○○○○○

ـ تقولون ـ : اذا عمل الناس بالقرآن لأختفت المشاكل البشرية كلها. فلا بقي فقير على وجه الأرض . ولا صدر ظلم من ظالم . ولا شوهد ما يكره الأنسان من الانسان .

حسناً . .

أليست التجارب الواقعية من أكبر الأدلة ؟

هذه هي «القرى» التي تؤمن بالقرآن وتتلوه آناء الليل وأطراف النهار ، ترزح تحت عبء الفقر ، والتعدي ، والدمار .

واذا كانت تلك هي النتيجة على مستوى القرى فكيف ستكون على مستوى الأمم ؟

.. تلك هي مقتطفات من أقوال وتعليقات بعض الشباب في بلادنا ..

وهي أقوال وتعليقات تجد لها من الواقع المعاش اكبر الأدلة والبراهين .

«فالواقع» دليل قاطع بجانبهم . وهم مخطئون حتما .

ولكن .. كيف ؟

OOOOO

لكي نصل الى النتيجة الصادقة ، في هذا الحوار لا بد أن نتحاور في هذه الأقوال والتعليقات ، من موقع اقرب . بعد أن نصغي اليها بتجرد .

أ ـ ما ذنبنا اذا كان الاسلام ذاته لا

يقبــل التـطبيق الخــارجي في الـوقت الحاضر ؟ . »

الجواب :

ـ ذنبكم . . انكم لا تريدون تغيير أنفسكم . ولذلك فـانكم تشعرون «ان الاسلام لا يقبل التطبيق الخارجي » .

ونحن نوافقكم على ان الاسلام لا يقبل التطبيق على أمة لا تريد ذلك . .

ولكن هذا ليس خاصاً بالأسلام . . كل ايديولوجية في العالم لا يمكن ان تقبل التطبيق ، اذا لم يحاول المعنيون بها تغيير أنفسهم وفقها .

ان ارادة الأسلام ، تناقض اراداتكم .

فالأسلام يريد لكم الصعود ، وانتم تريدون الأنزلاق . .

الأسلام يدعوكم الى رب توافقونه فيما يريد ، وانتم تريدون ربا يوافقكم فيما تريدون . .

الأسلام يدعوكم الى الترفع عن السقوط في حمى الشهوات ، وانتم تريدون تحويل الحياة الى «سكس ـ شوب » . .

الأسلام يريد «أنسنة » الأنسان ، وانتم تريدون «حيونته » .

ولهذا فهو لا يقبل التطبيق .

والسؤال الآن هو : هل الأسلام لا يقبل التطبيق عليكم. أو أنتم لا تقبلون التطبيق عليه ؟

فهل الذنب ذنبه ، أم الذنب ذنبكم ؟

OOOOO

ب ـ غيروا اسلامكم . شذبوه . احذفوا منه نظرياته التعسفية . ادخلوا فيه المرونة . اقبلوا بعض الآراء الأخرى فيه فسرعان ما نغير موقفنا منه . . »

والجواب :

ـ مستعدون لكل ما قلتم ، بشرط واحد هو أن تضعوا لنا البديل ، عن كل جزء تطلبون حذفه .

انكم ترفعون في وجه الأسلام حرفاً واحدا هو «لا . . » ولكنكم تعجزون كل العجز عن وضع ما بعد «لا . . » اي «البديل» تقولون ـ : لا نؤمن بالله . .

ولكن بدل ذلك بماذا تؤمنون ؟

بالأنسان ؟

بالعلم ؟

بالتكونولوجيا ؟

بالفرد ؟

بالمجتمع ؟

بالشعب ؟

بالسلطان ؟

بماذا تؤمنون ؟

وكيف ترفضون «الله » وتتجهون
نحو «الاشياء » ـ وهي عاجزة الى حد
التعطيل ـ ونحو «الأشخاص » ـ وهم
عاجزون الى حد الموت ـ ؟

وماذا تقترحون للتعامل مع آلهكم الجديد ؟

ان المجتمعات التي رفضت الايمان بخالق العباد ، اضطرت الى العبودية لعباد الله . فعبدت في حقبة من التاريخ الفراعنة . ثم الكواكب . ثم الأشخاص . وأخيراً . . «الآلة »

وها هي المجتمعات تعبد السيارة . والطائرة . والحوامة . ومن أجلها تسحق الانسان تحت حوافرها القاتلة .

فمن أجل صناعة السيارة : يقتل الأنسان .
ومن أجل بيع الطائرة : يقتل الأنسان .

ومن أجل انتاج الحـوامة : يقتـل الأنسان .

فالآلة هي الأقوى . هي الأهم . هي الأعظم . وهي . . المعبود والآلة .

وكل ذلك نتيجة طبيعية لرفض عبادة الله .

فهل تقترحون علينا ذلك ؟

○○○○○

تقولون ـ : لا نريد العدالة الأسلامية ، لأن «مباديء العدالة الإسلامية لا تناسبنا» .

حسنا ـ فماذا تناسبكم ؟

تنـاسبكـم الأشتـراكيـة ـ المـاركسيـــة . ومآسيها الأنسانية ؟

تناسبكم الرأسمالية ـ البرجماتية .
ووحشيتها الحيوانية .

ماذا تناسِبكم ؟

ضعوا البديل .

○○○○○

تقولون ـ : السياسة الاسلامية لا تفيد الحياة .

إذن أي نوع من السياسة تفيدها ؟

اذا كانت السياسة التي تقول :

«الضعيف الذليل عندي قوي عزيز .

«حتى آخذ الحق له .

«والقوي العزيز عندي ضعيف .

«حتى آخذ الحق منه .

اذا كانت هذه لا تفيد الحياة .

فماذا تفيدها ؟

○○○○○

ج ـ مشكلتنا معكم ، هي انكم تطالبوننا بالعودة الى الوراء ، ناسين ان عقارب الساعة لا تسير الا في لحم المستقبل . . »

الجواب :

ـ من يطالبكم بالعودة الى الوراء ؟

نحن . ؟

تلك تهمة . نطالبكم بوضع النقاط على الحروف . فالعموميات مطاطة ، لا تقبل

المناقشة ولا يمكن الأجابة الصادقة عليها .
لانها كالاسفنج لا يقضى عليها من جانب
الا لكي تنمو من جانب آخر .

لا . .

ليس هناك من يطالبكم بالعودة الى
الوراء الا أبالستكم .

أما نحن فاننا ندعوكم الى التقدم الآف
الأميال داخل المستقبل .

نحن ندعوكم الى اكتشاف المستقبل .
والسير ـ بخطى سريعة ـ اليه . ندعوكم
للسنن الكونية ـ التي لها الكلمة الأخيرة في
المستقبل ـ .

نحن نقول : المستقبل سيكشف انسانية

الانسان فتعالوا نكتشف من الآن . .

وما ذنبنا اذا كان ذلك اكتشافا قديما من الأسلام ؟

هل ان اكتشاف الحقائق في وقت سابق يجعلها خرافة لا بد من الكفر بها ؟

ان الذين يعتقدون ذلك يغفلون ان أكثر حقائق الكون انما اكتشفت في عهود متقدمة جداً . وان كل اكتشاف للانسان ، سيصبح في يوم ما قديماً ومن ثم «وراء» يجب رفضه بناءا على هذا التفسير .

ولكي نكون مثل هؤلاء ، فان علينا أن نرفض بعد مرور قرن واحد وجود الميكروب ، ومن ثم نرفض التعاليم الصحية كلها ، لان أكتشاف الميكروب يصبح حينئذ

أكتشافا قديما ، أي «وراء » !

وعلينا ان نرفض الايمان بوجود شيء اسمه «الجاذبية الأرضية » لانـه أكتشاف قديم !.

وعلينا ان نرفض ان «القمر كوكب » يمكن الصعود عليه ، لأن أكتشاف كوكبيته يصبح اذ ذاك ، قديما . !

وعلينا أن نعتبر اية دعوة الى اعتماد التجربة دعوة ورائية . لأنها دعوة قديمة . .

وعلينا ان نرفض القواعد الأجتماعية ، لأنها قواعد رجعية . .

وكـل ذلـك يمكن ان يتم تحت شعار : «لكي لا نعود الى الوراء . . » .

أليس ذلك مضحكا ؟

د ـ انتم من جيل الأسلام . ونحن من جيل ما يسمى بالكفر .

بالله عليكم احكموا : اينا أسعد حظا . واحسن حياة : نحن ام انتم ؟

والجواب :

ـ في البداية لا بد أن نصحح خطأ بسيطا هو أننا في الواقع لسنا من «جيل الاسلام» ، لأن الأسلام ، حركة وعمل ، وليس مجرد ماركة .

الإسلام ايديولوجية ثورية . وجيل الإسلام هو الجيل الثوري الذي يغير ويبدل وفق تعاليم الإسلام .

اما نحن فاننا فقط نسمي أنفسنا

« مسلمين » . وهو مجرد ادعاء لا نملك شاهدا على صدقه .

فالجملة الأولى : «انتم من جيل الأسلام » غير صحيحة . فانتم من «جيل الكفر » ولكن ليس صحيحا ان كفركم ، سبب سعادتكم ـ ان كانت في حياتكم المليئة بالظلم والطغيان والجريمة ـ سعادة .

انكم لا تؤمنون بالله . .

ولا بالقيم الآلهية . .

ولا بالتعاليم الدينية . .

ولكن هل سعادتكم نابعة من ذلك ؟ السنا نرى الشعوب الأفريقية منذ آلاف السنوات تكفر بالله ، والقيم الآلهية ، والتعاليم الدينية ، تماما مثلكم ، ولكنها مع ذلك تموت تحت حوافر الشقاء ؟

ثم .. هل انكم ملكتم الفيلات الفخمة ، والسيارات المرفهة ، والبنايات الناطحة للسحاب بمجرد ان كفرتم بالله ؟

ام ان كل هذا نتاج «العمل» و «الفعل» في الحياة ؟

اليس «العمل» قيمة آلهية ؟

اليس «فهم الحياة» ـ الذي تمارسونه دوننا ـ واجبا دينيا ؟

أليس «التفكير الجدي» فرض اسلامي ؟

اذن .. فسعادتكم ـ وسعادة الشعوب الصناعية المتقدمة ـ رهينة تمسكها بقيم الله ، وتعاليم الدين ، من حيث يعرفون أو لا يعرفون .

وشقائنا ، وشقاء الشعوب المتخلفة رهين ابتعادنا عن الدين الحقيقي ـ لا ما نسميه دينا ـ .

.. لقد سافر احد علماء المسلمين الى اوربا مرة وعندما عاد قال :

رأيت هنالك الإسلام . ولم ار المسلمين .

« ورأيت هنا المسلمين ولم أر الإسلام » !

وهذا ـ وان لم يكن صحيحا مائة في المائة ـ الا انه يكشف عن حقيقة هامة هي : ان أي تقدم يحرزه الغرب ، انما هو نتيجة أخذه الجزئي بجانب مما يأمر به الأسلام .

أ ـ اليس الغــرب «يصــدق » ـ بعض الشيء ؟

والأسلام هو الذي يأمر بالصدق ، في كل شيء . . في المعاملات . وفي العلاقات العامة . وفي الناس . وفي البيت ، ويقول : « ان الله مع الصادقين» !

ب ـ وأليس الغرب يصر على «النظام » ويعنف في تنفيذه ، والتقيد به ؟

والاسلام هو الذي يعتبر الله دافعاً الى النظام والتنظيم ويقول ـ على لسان الأمام علي (عليه السلام) ـ :

«الله . . الله في نظم أمركم . . » !

ج ـ واليس الغرب يعتمد «التجربة » في المجالات الصناعية ، والعلمية ؟

والإسلام يقول في ذلك : « في التجارب علم مستحدث » .

د ـ واليس الغرب يحترم العقول المفكرة ، ويهيء لهم كل وسائل تفجير طاقاتهم ؟

والاسلام يقول في ذلك : «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » . ويعتبر كتابه منزلاً «لقوم يتفكرون » . ويقول : «ان الملائكة لتضع اجنحتها تحت رجل طالب العلم » .

اذن . . فالقيم التي يعتبر الغربيون ـ والشرقيون على حد سواء ـ انفسهم مدينين لها في تقدمهم هي «قيم اسلامية » بمعنى ان تقدمهم لم يكن نابعاً من سيرهم في خط معاكس للاسلام ، وانما في خط اسلامي . .

وبمقـدار ما كـان تمسكهم بهـذا الخط ، كـان تقدمهم في الحياة . .

وعلى العكس ، بمقدار ما كان ابتعادنا عن هذا الخط كان تأخرنا في الحياة . .

ان الجيل المعاصر في الدول الأسلامية لو كان «جيلاً اسلاميا » لكان يحتل الصدارة بين الشعوب ، في كل مجال .

«فالأسلام يعلو» . في كل مجال .

« . . ولا يعلى عليه » . في أي مجال .

فاذا لم نجد «العلو» عند جيلنا المعاصر فلا بد ان نشك في وجود الأسلام .

واذا وجدنا «العلو» عند اي جيل فلا

بد ان نفتش عن قيم الأسلام[1] .

ان المشكلة معكم ، هي انكم تحملون الاسلام جريمة من ينتحل أسمه .

وهل يتحمل الفكر الصائب ، جريمة من ينتحله ؟

وهل يتحمل التاجر الصادق ، جريمة من يزور توقيعه ؟

مالكم كيف تحكمون ؟

○○○○○

هـ ـ كيف يمكن أن نتفق ؟

(١) للمراجعة: « التعرف على الإسلام » للمؤلف .

ونحن ندعو الى التطور ، وانتم الى الجمود ؟

ان كل ما في الحياة يسير على عجلة التطور . هذا «قانون الحياة » . ونحن لا يمكن أن نطالب بحذفه بمجرد انه لا يلائم جمودكم .

وهكذا . . فنحن محكومـون بتغيير أنفسنا حسب تغيرات الظروف . والا فقدنا حقنا في الحياة .

فكيف يمكننا أن نتفق ؟ .

والجواب :

ـ بهذه السطحية تحاولون التهرب من مسؤولياتكم : «فالتطور قانون في الحياة »هل يكفي ذلك مبرراً لتلونكم ، وتنازلكم ، وسقوطكم ؟

الا تتصورون ـ مجرد تصور ـ ان من الممكن ان نعرف نحن ايضا ان «التطور قانون في الحياة» وانه أمر قائم ؟

أم لا زلتم تعتقدون انكم أول من أكتشف «قانونية التطور» واننا آخر من سنفهم ذلك ؟

على كل .. ليست السطحية جديدة عليكم ، اذ لم نعهد منكم ـ حتى الآن ـ وجود أي غور ، ولو بمقدار انش ، في تفكيركم .

ونأسف جداً .. لأن علينا ان نبسط لكم بعض الحقائق الأولية ، لكي تعرفون بعدها بعض القضايا الواضحة .

نحن نقول : ان هناك خطان في الحياة :

واحد : الخط الثابت .

اثنين : الخط المتطور .

ويجمع الخط الثابت . كل السنن ، والقوانين التي تقوم عليها الحياة ، وهي التي قد نصطلح عليها بالأصول الحياتية ، كأصول الزراعة . وأصول العيش . وأصول الصحة . . الخ .

فلا شك أن الحياة تخضع لأسس ثابتة لا يمكن تغييرها ، سواء في حياة الانسان ، أو الحيوان ، أو النبات ، أو أي شيء آخر .

مثلا نحن نجد ان الطبيعة البشرية تخضع لضرورات معينـة، وهذه الضـرورات كانت منذ أول أنسان، ولا تزال حتى اليوم ،

وستظل حتى الأبد ، ضرورات بشرية لا يمكن الحياة بدونها مثلا :

آ ـ ضروة الطعام للانسان .

ب ـ ضرورة الجنس للانسان .

ج ـ ضرورة العمل للانسان .

د ـ ضرورة الراحة للإنسان .

هـ ـ ضرورة الانسجام مع الحياة والأحياء .

الى آخر ما في قائمة الانسان من «ضرورات» حياتية ثابتة .

أما الخط المتغير فهو يجمع كل الأشياء المتغيرة ، مثل نوعية الوسائل التي يتبعها الانسان من أجل تحقيق رغباته .

وواضح من ذلك ان هناك «رغبات

ثابتة » للانسان يتبع في تحقيقها الوسائل المختلفة ، والمتغيرة .

وهذا يعني : ان هناك «ثبوت » في رغبات الانسان وضروراته ، و «تغير » في تحقيق ذلك .

فالآلات التي يستعملها الأنسان ، والطرق التي يتبعها تتغير ، الا أن الأهداف التي تحرك الآلات ، وتدفع الى اتباع تلك الطرق ، هي ثابتة ولا شك .

فالمتغيرات ، هي متغيرات ولكن على أسس ثابتة . اي ان «الخط المتغير» انما يقوم على «الخط الثابت » في الحياة .

فكل تغيير في الحياة ، انما هو في اطار شيء ثابت ، والا لكانت الحياة فوضى لا

رأس لها ولا ذيل .

فمثلاً ، عندما نلاحظ تطورات الحياة في النصف الأخير من القرن العشرين ، نجد انها لم تكن الا في نوعية الآلات والوسائل المتبعة لتحقيق الرغبات الثابتة .

فالانسان - كان ولا يزال - بحاجة الى «آلة» تحمله الى البلاد البعيدة في أسفاره ، فتارة يستعمل الحيوانات في ذلك ، واخرى يخترع الدراجات العادية وثالثة يخترع الدراجات النارية ، ورابعة يخترع السيارة . والطائرة . الخ المهم في كل ذلك ان الانسان بحاجة الى آلة سفر ، وهذا بالطبع لا يتغير .

وهو - كان ولا يزال - بحاجة الى

مأوى ، يمنع عنه الحر والبرد . فتارة يصنع كوخاً متواضعاً ، واخرى بيتا فخماً ، وثالثة قصراً رائعاً ، ورابعة فيلا جميلة . .

فالكوخ قد يتحول الى بيت . والبيت قد يصبح قصر . والقصر قد ينقلب فيلا ، ولكن الشيء الذي يبقى على حاله في كل ذلك هو ان الانسان بحاجة الى «مأوى» .

فحاجات الانسان الأساسية هي التي تبقى في «القاع» غير قابلة للتغيير بينما ما يتغير على «السطح» كل عام وربما كل يوم .

وهذا يعني : ان كل التغييرات انما تحدث داخل قنوات غير قابلة للتغيير .

والآن . . .

فان الاسلام في «القنوات غير القابلة

للتغيير» مهمته الكشف عنها . والتأكيد عليها في الظروف .

وفي «المتغيرات » من الوسائل والطرق ، فان مهمته هي دفع الانسان اليها مع التنويه الى ضرورة عدم تجاوز الحد الذي لا يتغير .

آ ـ ولذلك نجد ان باب الاجتهاد مفتوح بمصراعيه في الاسلام .

ب ـ ونسمع من الامام علي (عليه السلام) قوله :

«لا تقسروا اولادكم على اخلاقكم .

«فانهم مخلوقون لغير زمانكم . .

فالأخلاق التي تعنى هنا ، مجموعة العادات والتقاليد تتغير عادة من جيل الى

جيل ، ولكنها تتغير وفق أسس ثابتة .

فالعادة المتبعة قد تكون الجلوس المحتشم على الأرض

وقد تصبح الجلوس المحتشم على الكرسي .

وقد تصبح الجلوس المحتشم على السرير .

فلا يجوز اذن للآباء انيقسروا اولادهم على نوعية ما يجلس عليه ، أو كيفية الجلوس ذاته لأن ذلك يتغير ، اما اصل «الجلوس المحتشم» فانه مطلب ثابت للانسان لا يخضع للتغيير . .

ج ـ ونسمع القرآن يقول :

«وفوق كل ذي علم عليم .

دافعاً للانسان الى التعلم والمزيد من التعلم مهما بلغ مرتبة رفيعة من العلم .

ر ـ ونجد الرسول الاعظم يقول :

«من استوى يوماه فهو مغبون .

«ومن كان غده اسوء من يومه فهو ملعون .

هـ ـ ونسمع القرآن وهو يطالب بالسير في الأرض لكي نعرف كيف نطور الحياة والأحياء :

«فسيروا في الأرض .

«فانظروا الى آثار رحمة الله .

« فأمشوا في مناكبها .

وبفعل كل هذه التعاليم ، قاد المسلمون

حركة التاريخ ، لفترة طويلة ، واحدثوا خلالها تلك الثورة الفكرية والأجتماعية الرائعة التي يعتبر العالم نفسه مدينا لها .

ولو كان الاسلام جموداً ـ كماتزعمون ـ لجمد اتباعه في أقبية التاريخ . ولكنه تقدمية . وثورة . وحركة . وعمل .

OOOOO

و ـ الف عام صلينا ، وصمنا ، وحججنا ، وادينا آخر فلس مما علينا من الزكاة . فماذا كانت النتيجة ؟

لقد احتلت اسرائيل التي لم تصل لحظة واحدة ـ اراضينا في ساعات ، ولم تدافع عنا صلواتنا ، وصياماتنا ، وزكواتنا قيد شعرة » .

والجواب :

ـ مصيبتكم ـ اذا صدقتم ـ انكم فقط صليتم وحججتم ، ونسيتم بعد ذلك ان الدين ليس فقط صلاة ، وصياما وحجا .

نسيتم ان الدين منهج حياة . . وطريقة عمل . . وثورة ضد كل أشكال التخلف والقهر والطغيان .

لقد تركتم كل ذلك ، وفقط صليتم ، وصمتم وحججتم . أن الصلاة ، والصوم ، والحج ، وكل العبادات أنما تشكل جزءا من الدين ، وهو جزء أساسي يبقى البناء على ذلك . . وهو الاهم .

ولذلك نجد أن مجموع الآيات الواردة في :

واحد) الصلاة لا تتجاوز الـ (٩٩) آية فقط .

اثنين) الصوم لا تتجاوز الـ (١٣) آية فقط .

ثلاثة) الحج لا تتجاوز الـ (٨) آية فقط .

أربعة) الزكاة لا تتجاوز الـ (٣١) آية فقط .

واذا جمعناها كلها فانها لا تتجاوز ١٥١ / آية فقط . بينما تتجاوز مجموعة الآيات الواردة في القرآن الـ (٦,٣٢٠) آية .

فلماذا تذكرتم آية الصوم والصلاة والحج والزكاة فقط ، ونسيتم الآيات

الأخرى جميعاً ؟

لماذا صليتم فقط ، ولم تعملوا ؟ والله تعالى يقول : ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ ؟

ولماذا صمتم فقط ، ولم تجاهدوا . والله تعالى يقول :

﴿وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وانفسكم﴾ ؟

ولماذا حججتم فقط ، ولم تطيعوا . والله يقول :

﴿واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون﴾ ؟

ولماذا زكيتم فقط ، ولم تقاوموا . والله

بالخمس . بالجهاد . بالعمل . بالبناء ، لا تنفع . .

كما ان الصوم الذي لا يرفع من مستوى القدرة الصمودية لدى الانسان ، ولا يعلمه الترفع على الشهوات ، ايضاً ، لا ينفع . .

كما ان الحج الذي لا يجمع الناس على صعيد الفكر والعمل ، كذلك لا ينفع . .

مرة أخبروا الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) عن امرأة عابدة ، فمدحوا صلاتها ، وصومها وحجها .

فقال لهم الرسول ـ : وكيف معاملتها مع جيرانها ؟

قالوا ـ : يا رسول الله انها امرأة .
والمرأة لها مع جيرانها كلام ونزاع .

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ :
لا خير في صلاتها وصيامها وحجها . .

لماذا ؟

تعالى يقول :

﴿ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة﴾ .

ان الصلاة التي لا تشفع بالزكاة .
لانها فقط صلت . وصامت .
وحجت . ونسيت ما وراء ذلك .

تماما كما فعلتم أنتم . .

فأنتم صليتم . .

قد يكون ذلك صحيحا .

ولكن لماذا تركتم معاملاتكم تحكمها العلاقات الحاقدة ، ونسيتم كلام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). .

«الدين . . المعاملة !

وانتم صمتم . .

وقد يكون ذلك صحيحا . ايضا .

ولكن لماذا سمحتم للضغائن تحكمكم ، ونسيتم كلام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) :

«وهل الدين الا الحب ؟

أنتم حججتم . .

وقد يكون ذلك صحيحا ، كذلك .

ولكن لماذا تفرقتم ، ونسيتم كلام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) :

«المسلمون كالجسد الواحد. اذا اشتكى «منه عضو تداعت له سائر الاعضاء بالسهو والحمى ! .

لقد صليتم الف عام - كما تقولون - . وستتركون الصلاة الف عام آخر . ولكن ابشركم .

لن يزيدكم ترك الصلاة الا تخلفا وتمزقا وخسارا ، لأن نقصكم لم يكن في صلاتكم وانما في مكان آخر .

الصلاة لم تكن نقطة الضعف فيكم .

كان ضعفكم في عدم الانتفاع

بالصلاة . في قطع الربط بالله . في التهرب من تقديم- الضحايا . في عبادة الذات .

وكل ذلك موجود فيكم .

وستبقون انتم المهزومون ، ما دام ذلك موجودا فيكم ، سواءا صليتم أو كفرتم . صمتم أو أفطرتم . حججتم أم تركتم ذلك .

واسرائيل . .

انها لم تحتل اراضيكم بسبب صلواتكم .

وانما احتلتها بسبب تخلفكم ، وسقوطكم في عبادة الشهوات .

والذين يسقطون في عبادة الشهوات لا

يستطيعون ان يردوا الضربة بالضربة ، وان يكيلوا الصاع صاعين .

OOOO

ز ـ لا تكلفونا بالعبادات ، فانتم كنتم تجدون متسعا كافيا من الوقت لأدائهما . اما نحن فان متطلبات البحث ، والتنقيب ، والعلم ، والتكنولوجيا لا تترك لنا مجالا والصوم والعبادات الأخرى انما هو : ذلك لممارسة ذلك . .

والجواب :

ـ اذا كنتم صادقين في انشغالكم بالبحث ، والتنقيب ، فاننا نهنئكم بهذه الروح الجادة الخيرة . .

وعلينا ان نعلمكم بالمناسبة ، ان

البحث والتنقيب والتعلم والتعليم هي من العبادات الهامة في الأسلام .

ولكن :

اسمحوا لنا ان نتساءل : اذا لم يكن لكم اي متسع من الوقت للعبادات - وهي لا تستغرق الا لحظات تمتلئون فيها من الوقود الفكري ، والروح الثورية - فهل لكم ان توضحوا لنا من يملأ صالات السينما . وبلاجات البحر . وسوح الرقص - وقاعات ألمسارح ؟

انكم لا تملكون فراغا لربع ساعة في كل ٢٤ - ساعة للوقوف امام ربكم الذي خلقكم ، ورزقكم ، ويميتكم ويحييكم ، ولكنكم تجلسون ساعات طويلة وعيونكم

مسمرة في افلام السكس العارية ، وخزعبلات المسارح الماجنة ، وهز البطون الرخيصة .

ولا نعرف .. كيف تجدون متسعا من الوقت لهذا كله ؟

ربما تعتبرون ذلك نوعا من البحث والتنقيب واختراع الصناعات الثقيلة !

○○○○○

ح ـ الامريكان وصلوا الى القمر .
الروس أرسلوا بريدهم الى المريخ .
الفرنسيون صنعوا طائرات الكونكورد .
الصينيون فجروا قنابل هيدروجينية . وكلهم من الشعوب الملحدة التي لا تصلي ولا

تصوم ولا تؤمن بالجنة والنار ، ولا بالقبر والحساب . .

والجواب :

غريب . !

هل وصل الامـريكان الى القمـر بالكفر ، أم بالأيمان . ـ على الأقل الايمان بالفكر والعمل ـ

صحيح انهم لا يصلون ولا يصومون مثلنا ، ولكن صحيح ايضا انهم لو كانوا يصلون ، ويصومون ، مؤمنين باله واحد لا تعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، لما تنافسوا على قتل الابرياء ، ونهب الفقراء ، واستخدام الصعود الى

القمر ، وارسال البريد الى المريخ ، ومغازلة المنظومات الأخرى ضد بعضهم البعض : دعائياً وعسكريا .

ان الصلاة والصوم لا يصنعان للانسان صاروخا ، ولا طائرة ، وهما لا يدعيان ذلك ، ولكنهما يصنعان للانسان وجدانا متيقظا ينفعه فيما اذا اخترع الصاروخ ، لمنعه من استخدامه ضد بني نوعه .

وهكذا فان ما فقده كل المتقدمين في العلم والتكنولوجيا من تركهم الصلاة

ط ـ تقولون ـ : اذا عمل الناس بـالقرآن لأختفت المشـاكل البشـرية كلهـا . فـلا بقي فقـير على وجـه الأرض ، ولا صدر ظلم من ظـالم ، ولا شـوهــد مـا يكــره الانسـان من الانسان .

حسنا . .

أليست التجارب الواقعية أفضل طريقة لمعرفة مدى الادعاءات ؟

هذه هي «القرى» التي تؤمن بالقرآن ، وتتلوه آناء الليل وأطراف النهار ، ترزح تحت عبء الفقر ، والتعدي ، والدمار .

واذا كانت تلك هي النتيجة على مستوى القرى فكيف ستكون على مستوى الأمم ؟ . .

والجواب :

ـ بالطبع : لو عمل الناس بالقرآن لحدث ما أدعيناه ، ولكن فيما اذا «عملوا» بالقرآن كله . عملوا بآيات العطاء . وآيات النظام . وآيات الحقوق . وآيات الجهاد .

وآيات الصمود . وايات السلم . وآيات التعاون . وآيات العلاقات العامة وآيات التفكير وآيات الأيمان .

فالقرآن كله دواء .

اما بعضه ، فقد لا يكون دواءا مطلقا . بل قد ينقلب داءا .

يقول القرآن الكريم :

﴿اتؤمنون ببعض وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب وما الله بغافل عما تعلمون﴾

ومثل القرآن في ذلك مثل : مجموعة

ادوية تعطى لمريض ، فكل دواء بوحده قد يكون له تأثير عكسي ، بينما اذا اختلط مع الأدوية الأخرى فانه يعطي النتيجة المطلوبة .

اما «القرى» التي تتحدثون عنها ، فان علينا ان نعترف صراحة انها غير مؤمنة . بدليل انها منكوبة حتى النخاع ، والقرآن الكريم يقول :

﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾ . .

فاين البركات من السماء والأرض في قرانا ؟

واين السعادة ؟

واين التقدم ؟

واين البناء ؟

وكلها ملازمة للايمان الصادق ، المترجم الى عمل ؟

ان الأيمان بالقرآن لا يكون بتلاوته ، وانما بتدبره ، والعمل الجاد بمفاهيمه وحقائقه ، ومتطلباته .

فكم من قارىء للقرآن ، شاذ عنه ، الوجدان النقي المخلص الذي يمنع الانسان من السقوط في عبادة الذات ، وسحق الأخرين من أجل مصالحه .

.. وانتم خيث لا زلتم تستوردون الألبان من الخارج . والخشب من الخارج . والقماش من الخارج . والحذاء من

الخارج . والخيط من الخارج . .

انتم حيث لا علم ، ولا من يعلمون . .

ولا صناعة ، ولا من يصنعون . .

أنتم ، حيث تعيشون ضيوفا غير مرغوب فيهم على حضارات الأخرين ، لماذا ضيعتم انفسكم عندما صنع الآخرون . . الحضارة ؟

انتم حيث لا تملكون شيئا مما يملكه الامريكان ، والروس ، والفرنسيون ، والانجليز ، والصينيون كيف تجيزون لانفسكم ان تخسروا ما تعطيه العبادات

لكم ، في الوقت الذي لا تملكون ما يملكه الآخرون ؟

ولعلكم فقط : فان الذين وصلوا الى القمر يصلون ويصومون ـ على طريقتهم ـ . والذين ارسلوا بريدهم الى المريخ يخضعون لقيم خاصة بهم لا يحيدون عنها .

وانتم . . ماذا ؟

○○○○○

يلعنه القرآن وهو لا يعرف ؟

كم من منافق يتلو قوله تعالى :

﴿يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون
﴿الا انفسهم .
﴿وما يشعرون ؟

كم من متخلف عن متابعة الرسول ،
وهو يتلو قوله تعالى :

﴿قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ ؟

كم من عبد لأهوائه وهو يقرأ :

﴿ولا تتبعوا اهواءكم ﴾ ؟

كم من ميت في الحياة ، وهو يتلو :

﴿يا ايها الذين آمنوا استجيبوا .
لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ﴾

ان قرانا تصبح مؤمنة يوم تحكمها علاقات الأيمان ونظام الاسلام ، وقيم القرآن . .

ومن دون ذلك ، فانها تبقى دليلة لنـا ، وليس ضدنا .

OOOOO

هادي المدرسي

البحرين ٢٠ ـ ١٤ ـ ٩٣هـ